العلاقة الأدبية بين المعلم والمتعلم من خلال رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام

المدرس الدكتور
حسن ثاجب محيل
كلية العلوم / قسم البيئة
جامعة البصرة

المقدمة

في الربع الأخير من القرن الأول الهجري كان يعيش في مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله) رجلاً إمتلأ قلبهُ إيماناً، وأشرق نورهُ على وجههِ روعة وجلالاً، أحبتهُ المدينة بأسرها، تواضع فإرتفع، وأحب ضعفاء الناس فأحبوه، كان للفقراء مواسياً، وعلى الإيتام حنيناً، ذلك الرجل هو علي بن الحسين زين العابدين، رابع الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

ونظراً لأهمية المدينة المنورة، كونها مركز الثقل للعالم الإسلامي، لذا نجد الإمام زين العابدين (عليه السلام) إهتم بها إهتماماً خاصاً، ففي فترة من الفترات كانت هذهِ المدينة تفتقر الى النظام والقانون الذي يُسير أمر الرعية، وكل ذلك كان يعايشه الإمام (عليه السلام)، فكان يرى من المصلحه إرجاع الناس إلى الإسلام وإلى تعاليمه السامية وقوانينه السمحاء التي تقتضيها الفطرة الإنسانية والوجدان، فبيّن لهم ما عليهم من حقوق ضمن رسالته الإنسانية الخالدة لتكون مناراً للبشرية وللمجتمعات بأسرها، والتي تضمنت الحقوق الثابتة لكل إنسان مهما كان عرقهُ وعنصره ُولونهُ وجنسهُ ولغتهُ (١).

وتعد هذه الرسالة أوّل وثيقة قانونية جامعة دوّنت في التاريخ البشري ، وهي من الذخائر النفيسة الذي ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالإنسان وحقوقه كلّها وتشتمل على شبكة علاقات الإنسان الثلاثة، (مع ربِّه ونفسِه ومجتمعه)، كما ترسم حدود العلائق والواجبات بين الإنسان وجميع ما يحيط به (٢).

ففي الواقع انّ رسالة الحقوق تقدّم صورة كاملة وشاملة عن حقيقة الدين الإسلامي وتمثل دائرة معارف إسلامية كبرى من حيث تعدد جوانبها وتنوع مضامينها وهذا التنوع والغنى الفكري أكسب هذه الرسالة موقعاً متميزاً في التراث الإسلامي (٣).

ويعد الجانب العلمي من أهم الجوانب التي تطرق لها الإمام (سلام الله عليه) في هذهِ الرسالة، فالعلم حياة للنفس الإنسانية، وحرمانها منه يعني إنتقاص وإمتهان كرامتها، ومما يؤكد حق التعلم والتعليم في الإسلام مافعله النبي صلى الله عليه وآله بأسرى بدر، إذ جعل فدية الأسير تعليم عشرة من أبناء المسلمين، وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى حق التعلم والتعليم في معرض تفسيره لقوله تعالى: **(وإذ أخذَ اللهُ ميثاق الذينَ أُوتوا الكِتابَ لتُبيننَّهُ للنَّاس ولا تكتُمونَهُ فنبذوهُ وراءَ ظُهورهم ...)** (٤) فقال: **(ما أخذ الله ميثاقاً من أهل الجهل بطلب تبيان العلم ، حتّى أخذ ميثاقاً من أهل العلم ببيان العلم للجهّال)**(٥).

مما تقدم يمكن القول أن الإسلام يرفض مبدئياً إحتكار العلم، ويؤكد على ضرورة بذله لطالبيه، وهذهِ العملية تحتاج الى تنظيم علاقات قائمة على أسس أدبية، وقد بين الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق، حق المعلم والمتعلّم، وأفرد لكل منها الحق الخاص بهِ، وهذهِ الحقوق ما هي إلا علاقة أدبية متبادلة بين الطرفين ، لذا إرتأينا تقسيم هذا البحث الى مطلبين.

المطلب الأول: آداب المتعلم تجاه المعلم من المواضيع المهمة التي يفتقر إليها كلُّ إنسان في علاقته بمعلميهِ وأساتذته هو موضوع الأدب الذي يجب أن يتحلى به المتعلم تجاه معلمه، وقد زخر تاريخ الحضارة الإسلامية بأخبار وصور وقصص رائعة، تجسد الرقي الأخلاقي الذي تمثلت به الأمة في تقدير العلم والعلماء، فقد أوجب الإسلام لمن يعلِّم الناس حقاً عظيماً يتناسب مع عظمة العلم والمعرفة، وقد صرح النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بأحاديث كثيرة أنه بُعث معلّماً، ودعا إلى مراعاة حق المعلِّم، وتناولت مدرسة أهل البيت، وخاصة رسالة الإمام زين العابدين (عليه السلام) هذا

اللون من الآداب التي صاغها على شكل حقوق، فقال عليه السلام: "**حق سائسك بالعلم التعظيم له، والتّوقير لمجلسه، وحسن الإستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتّى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدوّاً، ولا تعادي له وليّاً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للنّاس**"(٦).

والمتمعن في هذهِ السطور، يجد بأن الإمام (عليه السلام) شخص بعض الآداب الواجبة على الطالب الإلتزام بها تجاه معلمهِ، منها:

أولاً: أن يعتقد في معلمهِ أنهُ الأب الحقيقي والوالد الروحاني الواجب طاعتهُ (٧) ويتضح ذلك من خلال العبارة التي إبتدأ بها الإمام خطبتهِ بقولهِ **(حق سائسك بالعلم)، والسائس لغةً تعني الراعي، وتطلق على الوالي الذي يسوس أمر الرعية (٨).**

ولاشك أن المعلم بمثابة السائس لرعيته ، فقد فضل الله العلماء في مواضع كثيرة قال تعالى (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(٩) **فالأب الروحاني أعظم شأناً من الأب الجسماني، فهو مصدر الغذاء الروحي الفكري (١٠)** وهذا ما أشارت اليهِ الزهراء (عليها السلام) بقولها "أرضي أبوي دينك محمداً وعلياً بسخط أبوي نسبك، ولا ترضي أبوي نسبك بسخط أبوي دينك، فإن أبوي نسبك إن سخطا أرضاهما محمد وعلي (عليهما السلام) بثواب جزء من ألف ألف جزء من ساعة من طاعاتهما، وإن أبوي دينك محمداً وعلياً إن سخطا لم يقدر أبوا نسبك أن يرضياهما، لأن ثواب طاعات أهل الدنيا كلهم لا يفي بسخطهما "(١١).

وقد نقل لنا القرآن الكريم طاعة النبي موسى (عليه السلام) للعبد الصالح ، ورغبتهِ في طلب العلم ، وكيف صَمّمَ على بلوغ هذا الهدف السامي مهما كانت العوائق ومهما بعد المكان وطال الزمان ، فقال تعالى على لسان موسى (لآ أبرَحُ حتى أبلُغَ مجمعَ البحرينِ أو أمضِيَ حُقُباً)(١٢)، ولما وجد العبد الصالح وضع نفسهُ موضع المتعلم ، وأعطى لمعلمهِ حق قيادتهِ وإرشادهِ ، فإذا نَبهَهُ إلى أمر تنبّه ، وإذا إنكشف لهُ الخطأ

سارع إلى الإعتذار من معلمهِ ووعدهُ بالطاعة ، وأعطى بذلك درساً بليغاً في أدب المتعلم مع المعلّم ، فقال تعالى على لسان موسى (هل أَتَّبِعُكَ على أن تُعلّمنِ ممَّا عُلّمت رُشداً)(١٣).

والمتأمل في قول النبي صلى الله عليه وآله " أنا وعلي أبوا هذهِ الأمة "(١٤) يجد بأن هذا الحديث لم يكن جزافاً ، فصفة الأبوة جاءت من علمهما عليهم السلام ، ففي حديث آخر يصف النبي هذا العلم بقولة (أنا مدينة العلم وعلي بابها)(١٥)٠

وقال الامام العسكري (عليه السلام) واصفاً اليتيم الحقيقي بقولهِ: "وأشد من يتم هذا اليتيم، يتيم ينقطع عن إمامهِ لا يقدر على الوصول إليه، ولا يدرى كيف حكمهُ فيما يبتلي به من شرايع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا، وهذاالجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيمفي حجره، ألا فمن هداهُ وأرشدهُ وعلمهُ شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى، حدثني بذلك أبي، عن آبائه، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)" (١٦)٠

يتضح من خلال حديث الإمام العسكري (عليه السلام) ، أن الأبوة الحقيقية تتمثل بأصحاب العلم ، فالنبي وآل بيتهِ (عليهم السلام) ، خير من يتصفون بهذهِ الصفات ، لذلك شبه الإمام الجاهل لعلومهم الشريفة باليتيم٠

ويمكن إرجاع سبب هذهِ الأفضلية ، كون المعلم يهدي الى طريق الرشاد ، وبالتالي يكون علمهُ ذخراً للطالب في آخرتهِ ، أما الوالدان فإن حرصهما لا يتجاوز الحياة الدنيا ، وهذا ما أشار إليه يحيى بن معاذ الرازي بقولهِ "العلماء أرأف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم من آبائهم وأمهاتهم، لأنهم يحفظونهم من نار الآخرة وأهوالها، وآباؤهم وأمهاتهم يحفظونهم من الدنيا وآفاتها" (١٧)٠

وروى الأصفهاني كذلك أنه "قيل للإسكندر: إنك تعظم معلمك أكثر من تعظيمك لأبيك! فقال: لأن أبي سبب حياتي الفانية، ومؤدبي سبب الحياة الباقية"(١٨). وقد تغنى الشعراء بهذهِ العلاقة الأدبية، فقال أحدهم:

أقدِّم أستاذي على والدي وإن تضاعفَ لي مِنْ والدي البرُّ واللَطَفْ

فهذا مربي النفسِ، والنفسُ جوهرٌ وذاك مربي الجسمِ وَهْوَ لها صَدَفْ(١٩)

ثانياً: إحترام مجالس العلم، وهذا ما أشار إليه (عليه السلام) بقولهِ " **التعظيم له، والتّوقير لمجلسه، وحسن الإستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتّى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً**"، وإستعمل الإمام هنا مصطلح (التوقير) للدلالة على التعظيم، يقال وقرتهُ إذا عظمتهُ، وقد أقيم الوقار موضع التوقير(٢٠) في قوله تعالى (ما لكم لا ترجون لله وقارا) (٢١).

والجدير بالذكر أن الإمام سلام الله عليه جعل الإصغاء من أولويات هذهِ الأدبيات، فهو يعبر عن حسن نية المتعلم في طلب العلم، فلا يتحرك من غير ضرورة، ولا ينظر الى يمينه وشماله، ولا يلتفت لضجة يسمعها، فلا ينبغي إلا النظر الى معلمه (٢٢)٠

وقد تخلق الصحابه بهذهِ الأخلاق ، فعن أسامة بن شريك قال : " أتيت النبي صلى الله عليه وآله ،وأصحابهُ كأنما على رؤوسهم الطير، فسلمت ثم قعدت" (٢٣)٠

بعد ذلك تطرق الإمام سلام الله عليه الى مسألة الأقبال الذهني على الدرس ، فيجب على المتعلم أن يكون حاضراً ذهنياً، فالاستماع وحدُه لا يكفي دون التدوين والكتابة، وهذا ما أكدت عليه مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، فعن الإمام علي (عليه السلام) أنه قال: "العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع، المسموع إذا لم يكن المطبوع" (٢٤)٠

ولاشك أن الإصغاء والتلقي لايمكن تحقيقهما مالم يحسن المتعلم جلوسهُ بين يدي معلمه ، فيجلس أمامه ، جلسة الخضوع والتواضع ، وأن لايستند الى حائط (٢٥) وهذا ما أشار إليهِ أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله " من حق العالم عليك ٠٠٠أن تجلس أمامه" (٢٦)٠

وروى الخطيب البغدادي في ترجمة الحافظ عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بدُحيم الدمشقي (ت٢٤٥ه) بسنده عن الحسن بن علي بن بحر يقول "قدم دحيم بغداد

سنة٢١٢هـ، فرأيت أبي وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين قعوداً بين يديه كالصبيان" (٢٧).

وقد يُحرم المتعلم من حق العلم في حال الإبتعاد عن هذهِ الأداب ، قال حمدان بن الأصبهاني " كنت عند شريك بن عبد الله فأتاهُ بعض ولد المهدي ، فأستند الى الحائط وسأله عن حديث ، فلم يلتفت إليه شريك ، فعاد عليه فلم يلتفت إليه ، فقال ولد المهدي : كأنك تستخف بأولاد الخلافة ؟ قال شريك : لا ، ولكن العلم أزين عند أهلهِ من أن يضيعوه ، فجثا ولد المهدي على ركبتيه ، ثم سأله ، فقال شريك : هكذا يطلب العلم " (٢٨).

ومن الأمور الأخرى الواجب توفرها في مجالس العلم ، هو حسن الخطاب مع المعلم ، فلا يرفع عليه صوته رفعاً بليغاً من غير حاجة ، فالجهر الزائد عن الحاجة يخل بأدب المتحدث ، ويدل على قلة الإحترام للمتحدث إليه(٢٩) لذلك نجد القرآن الكريم يحثنا على خفض الأصوات ، فمن الوصايا الإلهية للقمان الحكيم ، قال تعالى (وأغضض من صوتك)(٣٠).

ويجب أن لا يكثر كلامه بغير ضرورة، ولا يحكي أموراً مضحكة، أو يتلفظ بما فيه بذاءة، أو يتضمن سوء مخاطبة أو سوء أدب ، بل ولا يتكلم بما لم يسأله ، ولا يجيب على سؤال في حضرة المعلم ، وإذا أراد الكلام فليستأذن أولاً (٣١) فقد روى الذهبي عن عبد الله بن المبارك أنه سئل بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال" إنّا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا"(٣٢).

ومن لم يلتزم بهذا الأدب يعرض نفسهُ الى ما لا يحمد عقباه ، قال ابن بطة الحنبلي : " كنت عند الإمام أبي عمر الزاهد ، الحافظ العلامة اللغوي محمد بن عبد الواحد البغدادي، الملقب غلام ثعلب ، فسُأل عن مسأله ، فبادرت أنا فأجبت السائل ، فألتفت الي أبو عمر الزاهد وقال لي : تعرف الفضوليات المنتقبات ؟ يعني أنت فضولي ، فأخجلني " (٣٣).

وأنشد الخطيب البغدادي في هذا المقام :

ولا تشارك في الحديث أهلهُ وإن عرفت فرعهُ وأصلهُ (٣٤).

ومن الأمور المهمة التي أشار إليها الأمام زين العابدين ، والتي تعد من ضروريات المجالس ، هي إبتعاد طالب العلم عن الغيبة والنميمة في حضرة المعلم ، فلا يقول: قال فلان وقال فلان ، فهذهِ الأفعال ربما توقع بين المعلم وغيره(٣٥).

ثالثاً : التعظيم لهُ في غيبته، فالأداب التي ذكرها الإمام سلام الله عليه بحق المعلم لاتقتصر فقط على المجالس التي يكون فيها حاضراً ، بل ذكر عليه السلام أنواع من الأداب في حال غيابه ، فقال: " وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك **بسوء ، وأن تستر عيوبه** ، وتظهر مناقبه ، ولا تجالس له عدوّاً ، ولا تعادي له وليّاً ، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للنّاس" .

ومن خلال نص الإمام سلام الله عليه يمكن إستخلاص بعض مظاهر تعظيم المعلم في حال غيابهِ ، ومنها:

١- الرد على التهم والإفتراءات الموجهه الى المعلم من قبل المغرضين، ومراعاة هديه في غيبته وبعد موته (٣٦) فالمعلم صاحب الفضل الكبير على المتعلم ، وكما وصفهُ أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : " فإنما هو بمنزلة النخلة ، تنتظر متى يسقط عليك منها شيء"(٣٧) ومن وصايا الإمام أبو حنيفة لأحد الطلاب " وإذكر الموت ، وإستغفر للإستاذ ، ومن أخذت عنهم العلم" (٣٨).

٢- الصبر على ما يبدر من المعلم ، فقد تظهر من المعلم في بعض الأحيان أموراً وتصرّفات لا تليقبمنزلتهِ ولا تروق للمتعلم، كالغضب، أو التعجّل في إطلاق الأحكام، وبهذهِ الحالة يستوجب على المتعلم الصبر ، قال الشافعي: "غضب الأعمش يوماً على رجل من الطلبة، فقال آخر: لو غضب عليَّ مثلك لم أعد إليهِ، فقال له الأعمش: إذن هو أحمق مثلك يترك ما ينفعه لسوء خلقي"(٣٩).

٣- الستر على عيوب المعلم، وهي من الأدبيات المهمة الواجب توفرها ، وتعد من مظاهر التعظيم، وقد كان بعض السلف إذا ذهب إلى شيخه تصدق بشئ، وقال "اللهم إستر عيب معلمي عني، ولا تذهب ببركة علمه مني"(٤٠).

٤- ذكر مناقب المعلم وصفاتهِ الحسنة ، والمحامد الشخصية، والمآثر العلميّة، ووفرة الآداب التي قد يتحلّى بها ، قال ابن خياط مادحاً مالك ابن أنس:

يدعُ الجواب فلا يراجع هيبةً والسائلون نواكسُ الأذقان

نور الوقار وعزّ سلطانِ التقى فهو المهيب وليس ذا سلطان(٤١)

والجدير بالذكر أن إخلاص النية في طلب العلم من أهم الأدبيات التي يجب على الطالب التحلي بها **وأن يقصد بعلمه وجه الله تعالى ، ولا يقصد جاه أو شهرة(٤٢) وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالأخلاص ، فقال: (**فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ)(٤٣)فالعلم عبادة من العبادات ، وقربة من القرب ، فإنْ خلصت فيه النية قُبِل وزكا ، ونمت بركتهُ ، وإن قصد به غير وجه الله تعالى حبط وضاع ، وخسرت صفقته، قال النبي صلى الله عليه وآله " من طلب العلم ليجاري بهِ العلماء أو ليماري بهِ السفهاء أو يصرف بهِ وجوه الناس إليه أدخلهُ الله النار" (٤٤)لذلك أكد الإمام زين العابدين (عليه السلام) على هذا الأمر وإختتم بهِ خطبته ، فقال: " **فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للنّاس" .**

المطلب الثاني: آداب المعلم تجاه المتعلم

كمال لمعلم حقوق على المتعلم، فإنَّ للمتعلم حقوقاً على المعلم أيضاً، فالعلم نعمة من النعم التي أفاضها الله تعالى على عبده، قال تعالى (عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (٤٥) لذا فإن مدرسة أهل البيت عليهم السلام تناولت حقوق المتعلم بشيء من التفصيل ، ويتضح ذلك خلال قول الإمام زين العابدين عليه السلام " وأما حق رعيتك بالعلم، فأن تعلم أن الله عز وجل إنما جعلك قيماً لهم في ما آتاك من العلم، وفتح لك من خزانة الحكمة، فإن أحسنت في تعليم الناس، ولم تخرق بهم، ولم تضجر عليهم، زادك الله من فضله،

وإن أنت منعت الناس علمك، أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك، كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلك" (٤٦)٠

ومن خلال هذهِ الخطبة الشريفة يمكن إستخلاص جملةٌ من الآداب التي يجب أن يتأدب بها العالم والمعلم ، ومنها:

أولاً : إخلاص النية : وهي من الضروريات الواجب توفرها عند المعلم فمدار الأعمال على النيات ، فيجب أن يبذل العلوم لله جل جلاله وأن لا يقصد بذلك شيئاً من أغراض الدنيا من مال أو جاه أو شهوة أو إمتياز عن أشباه وإفتخار وترفع على الأقران أو غير ذلك من المقاصد الفاسدة التي ثمرتها الخذلان من الله عز وجل (٤٧) وجاء في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله)" من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوء مقعده من النار"(٤٨) وعن أبي عبد الله (عليه السلام) "من تعلم العلم وعمل به وعلم لله دعي في ملكوت السماوات عظيماً ، فقيل تعلم لله وعمل لله وعلم لله"(٤٩)٠

وقد أكد الإمام سلام الله عليه على هذهِ المفردة الأدبية وأشارة إليها بصورة بلاغية بعبارة (فأن تعلم أن الله عز وجل إنما جعلك قيماً لهم في ما آتاك من العلم) ، أي مصلحاً لشأنهم بأن تخرجهم من الجهل إلى العلم (٥٠) ولا شك أن هذا الإصلاح لا يخلو من صفاء وإخلاص النية ، فالمتعلم بالنسبة إلى المعلم ولد روحاني ينبغي أن ينظر إليه نظر الوالد الشفيق إلى الولد البار، ويؤدبه أحسن الأدب وأول ذلك أن يحضرهُ على الإخلاص للّه في علمه وسعيه ومراقبتهِ تعالى في جميع اللحظات، ويتلو عليه الآثار الواردة في ذلك ويزهدهُ في الدنيا ويصرفهُ عن التعلق بها والإغترار بزخارفها ويرغبهُ في العلم، ويذكره بفضائله وفضائل العلماء(٥١)٠

ثانياً : عدم كتمان العلم والعمل بما يعلم ، فالتعليم رسالة سامية قبل أن يكون صنعة أو مهنة ،والله سبحانه وتعالى وعد بالعذاب لكل من يكتم العلم ، فقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ

وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)(٥٢) قال إبن الجوزي "هذه الآية توجب إظهار علوم الدين، منصوصة كانت أو مستنبطة"(٥٣).

فالعلم من العالم مثل الطيب مع صاحب الطيب ، وقال النبي (صلى الله عليه وآله) في صاحب الطيب " فحامل المسك : أما أن يحذيك، وأما أن تتباع منه ، وأما أن تجد منه ريحاً طيبة " (٥٤) وقد شبه أمير المؤمنين عليه السلام العالم المعطل للعلم بالجاهل، فقال في خطبةٍ لهُ على المنبر" "أيها الناس، إذا علمتم، فاعملوا بما علمتم، لعلكم تهتدون، إن العالم العامل بغيره، كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله" (٥٥).

فنشر العلم بين الناس وخاصةً أولئك المتعلمين الملهفين للمعرفة يزيد من حفظ المعلم له(٥٦) وهذا ما أشار إليه الإمام سلام الله عليه بقوله " وفتح لك من خزانة الحكمة ، فإن أحسنت في تعليم الناس ، ولم

تخرق بهم، ولم تضجر عليهم، زادك الله من فضله"، والخرقُ بالضم والتحريك في كتب اللغة ضد الرفق، وهو أن لا يحسن الرجل العمل(٥٧).

ثالثاً : مخاطبة المتعلمين على قدر عقولهم : يجدر بالمعلم أن يراعي إستعداد الطلبة ومستواهم الفكري، فيتدرج بهم في مراقي العلم حسب طاقتهم ومؤهلاتهم الفكرية، فلا يطلعهم على ما يسمو على أفهامهم، وتقصر عنه مداركهم وأن يقتصر لهم في بيان المسائل وتوضيح المشكلات التي لها وجوه متعددة متفاوتة على ما يبلغه فهمهم ويكتم عنهم ما لا يبلغه فهمهم (٥٨) فعن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال "حدثوا الناس بما يعرفون وأمسكوا عما ينكرون" (٥٩).

وقد تتجلى هذهِ الجملة الأدبية بقول الإمام زين العابدين (فإن أحسنت في تعليم الناس) والحسنى في التعليم هي أن يراعي المعلم إستعداد الطالب ومستواه الفكري (٦٠) أضف الى ذلك أن المعلّم الحكيم ينبغي أن يمنع العلم من يستحقّ المنع، ويعلّمه من يستحقّ التعليم، ويضع كلّ عقل في موضعه ولا يتجاوز عنه لئلاّ يورده مورد الهلكة (٦١) لذا قال ابن مسعود "ما أنت بمحدِّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلاّ كان لبعضهم فتنة(٦٢).

رابعاً : عدم الخوض بما لا يعلم ، إذ يجب على العالم القول بما يعلم والوقوف عندما لا يعلم، فلا يتسرعب جواب ما لا يعلم ولا يخجل ويتردد في قول (لا أعلم ولا أدري) (٦٣)، ولقد أخبر اللَّه تعالى عن أعز خلقهِ عنده وأقربه منزلة لديه وهو رسول اللَّه (صلى الله عليه وآله) بقوله تعالى (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ لأَخَذْنا مِنْه بِالْيَمِينِ)(٦٤)، لذا سار النبي (عليه السلام) على هذا النهج، فقد روي عن مالك بن أنس أنّه قال : "كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إمام المسلمين وسيّد العالمين يُسأل عن الشيء فلا يجيب حتّى يأتيه الوحي من السماء" (٦٥)٠

وقد عدّ أئمة أهل البيت عليهم السلام قول العالم بما لا يعلم من الخصال المهلكات، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال "إياك وخصلتين مهلكتين، أن تفتى الناسب رأيك، وأن تقول ما لا تعلم"(٦٦) كما يجب على المتعلم إلتماس العذر في عدم جواب العالم بما لا يعلم ، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "إذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل: لا أدري ولا يقل: الله أعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكاً، وإذا قال المسؤول : لا أدري فلا يتهمه السائل "(٦٧)٠

خامساً : الشفقة على المتعلم: وهي من ضروريات التعليم ، ومن الصفات المهمة الواجب توفرها لدى المعلم ، ويمكن إستخلاص هذهِ الصفة الأدبية من بعض مفردات الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، كقوله " وأما حق رعيتك بالعلم ... ولم تخرق بهم، ولم تضجر عليهم" ، ولاشك أن الإمام (عليه السلام) إنتهج المنهج التعليمي لآبائهِ عليهم السلام ، فعن النبي صلى الله عليه وآله قال "علموا ولا تعنفوا فإن المعلم العالم خير من المعنف"(٦٨) ومن وصايا أمير المؤمنين لولدهِ الحسين عليهم السلام، "يا بني رأس العلم الرفق وآفته الخرق" (٦٩) والخرق كما بينا سابقاً هو الدهشة والتخويف ولو بحدة النظر(٧٠)٠

وقد تتجسد شفقة المعلم من خلال صبرهِ وحسن خلقهِ وتواضعهِ، فقد يتعرض خلال تعامله مع طلابه إلى العديد من المواقف التي تحتاج إلى ضبط النفس وكظم الغيظ،

فبحلمهِ يستطيع كظم غيظهِ في المواقف المثيرة للغضب والتعامل بحكمة في المواقف التي يستحسن فيها كظم الغيظ وضبط النفس (٧١) ولعظمة الصبر والتحمل فإن التحلي بهما يجلب الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى وقد بين الله حبهُ للصابرين فقال تعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)(٧٢)٠

وبين بعض الأدباء فائدة الحلم والعلم فقال:

العلم والحلم حلتا كرمٍ للمرء زين إذا هما إجتمعا

كم من وضع سما بهِ العلم والحلم فنال السمو وإرتفعا(٧٣)٠

أما حسن الخلق والتواضع ، فقد قال النبي (صلى الله عليه وآلهِ) " إن العبد ليدرك بحسن خلقهِ درجة الصائم القائم "(٧٤) فما أروع أن يتجمل المعلم بحسن الخلق والسماحة ولين المعاملة ، وكان أنبياء الله قدوة للبشرية في حسن الخلق ، فعن محمد بن سنان قال : قال عيسى ابن مريم (عليهالسلام)" يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة إقضوها لي، قالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله ! فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكي ما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل"(٧٥)٠

ولنا في أهل البيت عليهم السلام أسوةٌ حسنة ، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال " إطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار وتواضعوا لمن تعلمونه، وتواضعوا لمطلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين في ذهب باطلكم بحقكم"(٧٦)٠

الخاتمة

ومن خلال ما تقدم من البحث يمكن إجمال أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من الناحيتين النظرية والميدانية والتي يمكننا إستخلاصها بالنقاط التالية :

١- أن أهل البيت (عليهم السلام) إتبعوا الطرق والأساليب والمناهج العلمية الصحيحة في التعليم، وأعطوا الفكر والطروحات المتكاملة في آداب وأخلاقية مهنة التعليم والتقدم نحو السمو والعرفان لبناء هيكلية المعلم والمتعلم الصحيحة وللإرتقاء نحو حضارة إسلامية عالمية.

٢-المعلم حجرُ الزاوية في العملية التربوية، ولا يمكن أن يكون هناك تعليم جيد إلا إذا وجد المعلم الصالح ديناً وخلقاً وعلماً ومعاملة.

٣- إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أكد على ضرورة توافر الأساس العلمي والخلقي المتبادل لممارسة مهنة التعليم، ولم يقصر الأمر على جانب واحدمنهما.

٤-حدد الإمام زين العبدين (عليه السلام) مجموعة من الصفات كالشفقة والرحمة والعدل والموضوعية والصدق والحلم والصبر والتواضع، وبين أن أتصاف المعلم بتلك الصفات يعينهُ على تكوين علاقات سليمة مع طلبتهِ، كما وتساعدهُ على الإحتفاظ بعلاقات قوية معهم.

٥- إن علاقة المعلم بالمتعلم وما تستوجبهُ من طاعة وإحترام وإجلال من قبل المتعلم تصبح غير متكافئة إن لم يكن المعلم مستوفياً للشروط من علم وعمل وأدب وحسن معاملة تجاه نفسهِ وتجاه المتعلم، فإن لم تكتمل هذه الشروط أدى ذلك إلى علاقة غير متوازنة بينهما.

٦- لا تقتصر العلاقة بين المعلم والمتعلم على المؤسسة التعليمية فقط، بل تمتد إلى خارج حدود الدرس في الحياة اليومية والإجتماعية، بل إلى ما بعد وفاة المعلم ، وهذا ما أشارة إليه الأحاديث الشريفة.

قائمة الهوامش والمصادر:

١- المقرم : عبد العزيز الموسوي ، حياة الامام زين العابدين (ع) ، المكتبة الحيدرية ، ط١، ١٤٢٤ه

٢- رسالة الحقوق ، موقع الشيخ حسين أنصاريان ٢٠١٤/١١/٨

٣- علي: صالح نبيل :رسالة الحقوق الأثر الخالد، تأملات فكرية معاصرة فى حقوق الانسان، مجلة: المنهاج ،٣٠٠/٣١

٤- سورة آل عمران / ١٨٧

٥-المجلسي :محمد باقر(١١١١ه) ، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء ــ بيروت، ط ٢، ١٩٨٣، ٢٣/٢

٦-الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه (ت٣٨١ه) : الأمالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية،مؤسسة البعثة، قم، ط١، ١٤١٧ه،ص٤٥٢

٧- الشهيد الثاني: زين الدين بن علي العاملي (٩٦٥ه) ، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد ، تح: رضا المختاري/٧٢

٨- ينظر: الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت١٧٥ه)، كتاب العين ، تح : مهدي المخزومي،مؤسسة دار الهجرة،ط٢، ١٤١٠ه، ٣٣٦/٧ ؛ ابن منظور: محمد بن مكرم(ت٧١١ه) ، لسان العرب ، ط١، دار صادر ، بيروت ،١٠٧/٦

٩- سورة الزمر/ ٩

١٠- القبانجي : حسن ، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام ،مؤسسة الأعلمي ، بيروت ،ط١، ٢٠٠٢م، ١/ ٣٠٨

١١- المجلسي : بحار الأنوار ٢٦١/٢٣

١٢- سورة الكهف /٦٠

١٣- سورة الكهف /٦٦

١٤-الصدوق : علل الشرائع: تح:السيد محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦م،

١٢٧/١؛ المجلسي : بحار الأنوار ٢٣/ ٢٥٩

١٥- الصدوق : عيون أخبار الرضا ، تح: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي،بيروت ، ١٩٨٤ م،٢١٠/١ ؛عطاردي : عزيز الله ، مسند الإمام الرضا (ع) ، مؤسسة أستان قدس، ١٤٠٦ه، ٣٢٨/١

١٦- تفسير الامام العسكري (المنسوب للإمام العسكري عليه السلام)، تحقيق ونشر : مدرسة الإمام المهدي (ع)، ط١، قم،١٤٠٩ه، ٣٣٩

١٧- ابن العطار : علي بن إبراهيم(ت٧٢٤هـ) ، تحفة الطالبين في ترجمة الإمام محي الدين ، تح: مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة،الدار الأثرية، ط١، عمان، ٢٠٠٧م،٣٥

١٨- الأصفهاني : ابا القاسم الحسين بن مفضل (٥٠٢ه) ، رسالة في أدب الإختلاط بالناس ورسائل أخرى ، تح: عمر عبد الرحمن الساريسي ، ط١، دار اروقة ، ٢٠١٣، عمان،١٧٨ .

١٩- الصفدي : صلاح الدين خليل (ت٧٦٤ه) ، الوافي بالوفيات ، تح: أحمد الأرناؤوط ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠م، ١١٧/٤

٢٠ العسكري : ابو هلال الحسن بن عبد الله (ت٣٩٥ه) ، الفروق اللغوية ، تح: محمد ابراهيم سليم ، دار العلم والثقافة ، القاهرة / ٢٠٣

٢١- سورة نوح /١٣

٢٢-الشهيد الثاني : منية المريد /٧٧

٢٣- ابو داود ، سليمان بن الاشعث بن اسحاق(ت ٢٧٥ه) ، سنن ، تح: محمد محي الدين ، المكتبة العصرية ، بيروت٣/٤

٢٤- الشريف الرضي، أبو الحسن، السيد محمد بن الحسين بن موسى (ت٤٠٦ه)، نهج البلاغة ،شرح : الشيخ محمد عبده، ط١، دار الذخائر ، قم ،١٤١٢ه، ٧٩/٤ .

٢٥- الشهيد الثاني : منية المريد /٧٦

٢٦- الخطيب البغدادي ، ابو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ه) ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تح: محمود الطحان، مكتبة المعارف ، الرياض ١٩٩/١

٢٧- الخطيب البغدادي تاريخ بغداد، تح : مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٧م، ٢٦٥/١٠

٢٨- الخطيب البغدادي ، الجامع ١٩٨/١

٢٩- ابو غدة ، عبد الفتاح ، من أدب الإسلام ، رسالة توجيهية سلوكية تتصل بحياة المسلم أوثق إتصال، جمعية آل البيت للتراث والعلوم الشرعية ، فلسطين/١٩

٣٠- سورة لقمان /١٩

٣١- الشهيد الثاني : منية المريد /٧٧

٣٢- الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد (ت٧٤٨ه) ، سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة ، ط٩، ١٩٩٣م، ٤٢٠/٨

٣٣- ابو غدة ، من أدب الإسلام/٢١
٣٤- الخطيب البغدادي، الجامع: ٢٠١/١
٣٥- الشهيد الثاني : منية المريد /٧٧
٣٦- لشهيد الثاني : منية المريد/ ٧٤
٣٧- الخطيب البغدادي : الجامع ١٩٩/١
٣٨- أبن نجيم: زين الدين بن ابراهيم بن محمد (٩٧٠ه)، الأشباه والنظائر على مذهب ابي حنيفة النعمان ،تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٧١
٣٩- ابن مفلح : عبد الله بن محمد (٧٦٣ه)، الاداب الشرعية، تح: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، ٢٨/٢
٤٠- الأنيس : عبد الحكيم ، أدب المتعلم تجاه المعلم في تاريخنا العلمي ، دار الشؤون الاسلامية ، دبي ، ط١، ٢٠٠٨ ،ص ٧٢
٤١- الخطيب البغدادي: الجامع ١٨٤/١
٤٢-الشهيد الثاني : منية المريد/٢٢
٤٣- سورة الزمر/ ٢-٣
٤٤- الترمذي : محمد بن عيسى بن سوره بن موسى(٢٧٩ه)، سنن الترمذي، تح: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ط٢، ١٩٨٣م، ١٤١/٤
٤٥- سورة العلق /٥
٤٦- الصدوق ، الأمالي /٤٥٣
٤٧- الجزائري ، عبد الله ، تحفة السنية في شرح نخبة المحسنية (مخطوط)، مكتبة آستانه قدس/١٠
٤٨- الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت٣٢٩ه) ، الكافي، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ط٥، طهران، ١/ ٤٧
٤٩- الكليني ، الكافي ٣٥/١
٥٠- المجلسي الأول ، محمد تقي (ت١٠٧٠ه) ، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تح: السيد حسين الموسوي، ٥١٥/٥
٥١- كاشف الغطاء ، علي ، النور الساطع في الفقه النافع ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ، ١٩٦٤م ، ٥٧٠/٢
٥٢- سورة البقرة / ١٥٩

٥٣- ابن الجوزي (ت٥٩٧ه)، زاد المسير في علم التفسير، تح : محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر ، ط١، بيروت ، ١٩٨٧م ١/ ١٤٩
٥٤- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ه) ، صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨١م، ٢٣١/٦
٥٥- الكليني : الكافي ٤٥/١
٥٦-النماصي : بدر بن جزاع، آداب المعلم والمتعلم ، شبكة الألوكة www.alukah.com، ص٣٨
٥٧-الفراهيدي ، كتاب العين ١٥٠/٤
٥٨- الجزائري : تحفة السنية /١٢
٥٩- المجلسي : بحار الانوار ٧٧/٢
٦٠- الصدر ، مهدي، أخلاق أهل البيت (ع)، دار الكتاب الإسلامي /٢٣٧
٦١- الحيدري ، كمال ، علم الامام، تح: الشيخ علي حمود العبادي، دار فراقد للطباعة والنشر ، ط١، ٢٠٠٨م /٤٦٢
٦٢- العيني، أبو محمد بدر الدين (ت٨٥٥ه)، عمدة القارئ، دار احياء التراث العربي، بيروت ٢٠٥/٢
٦٣- كاشف الغطاء ، النور الساطع ٢/ ٥٦٦
٦٤- سورة الحاقة / ٤٤-٤٥
٦٥- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت٤٥٦ه)، الاحكام، مطبعة العاصمة ، القاهرة ٧٩١/٦
٦٦- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد(٢٧٤ه) ،المحاسن، تح : جلال الدين الحسيني (المحدث)، دار الكتب الإسلامية، طهران ٢٠٥/١
٦٧- الكليني ، الكافي ٤٣/١
٦٨- المجلسي : بحار الأنوار ١٧٥/٧٤
٦٩- المجلسي : بحار الأنوار٥٨/٢
٧٠- كاشف الغطاء : النور الساطع ٢/ ٥٧٤
٧١- ينظر : الغزالي، أبو حامد محمد الطوسي النيسابوري (ت٥٠٥ه) ، إحياء علوم الدين ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٩٣/١
٧٢- سورة آل عمران / ١٤٦

٧٣-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري (ت ٤٦٣ه) ، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ه ،١٢٦/١

٧٤- المجلسي : بحار الأنوار ٣٧٣/٦٨

٧٥- الكليني : الكافي ٣٧/١

٧٦- الكليني : الكافي ٣٦/١